

مقدمة:

لقد شكلت الأسطورة في القرن العشرين ظاهرة قوية في المجال الأدبي والنقدي، مما أدى إلى الاهتمام والعناية بها شكلا ومضمونا، إذ استعملها الشعراء والأدباء في أعمالهم الإبداعية بصورة بارزة استحقت أن يقوم منهاجها قائما بآلياته لمقاربة هذه النصوص الإبداعية، شعراً كانت أم نثراً، وإن اختلفت وتفاوتت هذه الدراسات في تحكمها بآليات هذا المنهج أثناء التطبيق والتوظيف، ويعزى هذا لحدائته من جهة، واختلاف طرائق التوظيف الأسطوري من جهة أخرى.

فلقد احتلت الأسطورة ومنذ القديم حيزا كبيرا من حياة الإنسان، فكانت تفكيره الذي يفكر به، ويده التي يبطش بها، وعينه التي يرى بها العالم، فلقد كانت سراجها المنير الذي يقتضي أثره، وما تعدد الأساطير إلا دليل على ذلك.

فبالأسطورة عبّرت وبصدق عن تجربة الإنسان في مراحلها البدائية، ولا زالت تعبّر لحدّ اليوم عن رؤاه وتطلعاته في الحياة، ولهذا فإنّ لكلّ شعب أساطيره الخاصة التي تعكس عقليته وفكره ونمطه في الحياة.

ومن الأساطير العربية التي احتلت مكان الصدر والمحراب نجد أسطورة الليالي/كتاب الليالي الذي حظي بكثير الاهتمام في بيئة لم تنجبه وإنما احتضنته مع ترجمة أنطوان جالان (Antoine Galland). ويعود هذا الاهتمام إلى القيم المختلفة المكتتزة بين دفتيه، فهو كتاب يجمع بين العجائبي والتاريخي من جهة، ويصوّر الحياة العربية بأدق تفاصيلها من جهة أخرى، أي بمعنى أنه وثيقة تاريخية لمرحلة فكرية/سياسية/اجتماعية/ثقافية لأمة ما.

ولقد بلغني أيها القارئ السعيد أنّ راوية هذا الكتاب هي امرأة تسمى "شهرزاد" وبلغني أيضا أنّها شخصية قوية كانت مصدر إلهام لعديد المبدعين، فكانت بطلة للروايات والمسرحيات والأقاصيص المختلفة.

شهرزاد وهي تجوب البقاع، وتواجه البحر المتلاطم الأمواج لتصل إلى جزيرة الأدباء/الشعراء كانت ترتدي لبوساً عدّة، إذ ألبسها كل شاعر قناعا خاصا به يعبر عن همومه واهتمامه.

وفي إحدى رحلاتها حطّت الرّحال في الجزائر لتأسر قلب شاعرة وتسلب قلمها لتغريها بالكتابة وللتعبير عن همومها، هذه الشاعرة التي قالت ما لم تقله شهرزاد، فكانت لسانها الذي

تكلم شعراً، إنها الشاعرة "سامية عليوي"، وإذا كانت قصة شهرزاد مع الشاعرة قصة قديمة تعود إلى الطفولة فإن قصتي أنا معها حديثة نسبياً، إذ يعود اهتمامي بهذا الموضوع إلى الأسطورة بالدرجة الأولى لما أحدثته في مجال النقد والأدب من جهة، وإلى خصوصيتها من جهة أخرى، وتأثراً بقول "جون روسكين": "بأن الأسطورة عظيمة في نظر الشخص النبيل وقليلة المعنى في نظر الشخص الوضع".

فالأسطورة اليوم دخلت عالم الأدب/الإبداع/الكتابة لذا بات من الضروري الإلمام بها والإحاطة بجباياها وأصولها سيما للناقد على اعتبار أنها أحد المداخل الرئيسية لفك شفرات وطلاسم النص المعاصر، خاصة وأن الشعراء الغرب والعرب التفتوا إلى الأسطورة فألبسوها لبوساً عدة للتعبير عن هموم واهتماماتهم، فكانت بمثابة القناع الذي يختفي وراءه كل شاعر. بالإضافة إلى أن موضوع شهرزاد من الموضوعات المغرية التي تغري الدارس للبحث فيها ومعالجة موضوعها، سيما إذا تعلق الأمر بالشعر، إذ تأخذ شهرزاد أبعاداً عدة للتعبير عن المسكوت عنه لدى الشاعر، بل لتصور الواقع بصورة لا يفهمها إلا من يعرف سرّ شهرزاد والليالي.

كما أن شهرزاد تخرج في كثير الأحيان من بعدها الأسطوري الخرافي لتعبّر عن نفسية الشاعر وتعكس ايديولوجيته ولهذا فهو موضوع جدير بالدراسة.

ومن الأسباب أيضاً نجد أن هذا الموضوع لم يأخذ حظه من الدراسة النقدية إذ لا نعتز إلا على خمس دراسات في الساحة الأدبية آخرها دراسة "سامية عليوي" في بحث قدم لنيل شهادة الدكتوراة في الأدب المقارن تحت عنوان "تجليات شهرزاد في الشعر العربي والفرنسي سنة 2007، وقبلها تناولت موضوع "شهرزاد في الشعر العربي الحديث والمعاصر في رسالة ماجستير سنة 2003، وهذا سبب آخر للبحث عن تجليات شهرزاد عند هذه الشاعرة الناقدة لئرى كيف وظّفت أسطورة شهرزاد، ومختلف الأبعاد التي أخذتها في ديوانها "ما لم تقله شهرزاد...قالته سامية عليوي".

بالإضافة إلى هذه الأسباب توجد أسباب أخرى دفعتني للخوض في هذا الموضوع، من بينها أن الأسطورة بصفة عامة هي المفتاح الذي نلج به عالم الشعر المعاصر، سيما الشعر الجزائري المعاصر. لهذه الدوافع وغيرها عنونت بحثي بـ: "تجليات شهرزاد في ديوان ما لم تقله

شهرزاد...قالتة سامية عليوي"، وقد وقع اختياري على هذا الديوان بالتحديد، للبحث في المسكوت عنه في خطاب شهرزاد أولاً، وخطاب عليوي ثانياً. لأن الصمت خطاب ذو دلالات متعددة، فقد يكون اختياره خوفاً أو طمعا، رغبة أو رهبة، كما قد يكون تجاهلاً أو تسفيهاً إلى المتلقي ثم إن الصمت/المسكوت عنه باب يفتح فضاء التأويل على مصرعيه.

هذا الصمت الذي يوحي بالغموض الذي هو إحدى أهم سمات الأسطورة وعليه: ما الأسطورة؟ ما أهميتها وما وظيفتها؟ وما علاقتها بالعلوم الأخرى خاصة بالشعر والأدب؟ ولماذا هذا الالتفات الكبير إليها؟ وهل توظيفها هو عجز عن الإعراب عمّا في الضمير؟ أم أنّها صورة لفهم الوجود بما ليس موجوداً؟ وقبل هذا ما هو المنهج الأسطوري؟ ما آلياته؟ ومن أعلامه؟ وهل للعرب نصيب فيه؟ ثم من شهرزاد؟ وكيف تأسطرت؟ وكيف وظفتها الشاعرة؟ وما الغرض من ذلك؟ ماذا أحدثت "سامية عليوي" من تحويل وتطويع لموضوع شهرزاد؟ عفوًا ما أحدثته شهرزاد في أعمال "سامية عليوي".

— ما هي تقنيات التوظيف الأسطوري الشهرزادي في الديوان؟ وما جماليات هذا التوظيف؟ وسعيًا منّا للإلمام بموضوع "شهرزاد" وتجلياتها في شعر "سامية عليوي" آثرنا المنهج الأسطوري ليكون دليلنا خلال هذه الدراسة، ولقد طعم هذا المنهج بمنهج أخرى كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك كالمناهج المقارن، السيميائي، التاريخي.

وقد حاول البحث قدر المستطاع الإجابة على هذه الأسئلة وفق خطة ارتضاها لنفسه، قسمت إلى مدخل وثلاث فصول (اثان منها تطبيقيان) مسبوقه بمقدمة ومتبوعه بخاتمة.

— المدخل: وقد عنون بالأسطورة بين المفاهيم وأسئلة المنهج، إذا تعرضنا فيه للإجابة عن التساؤلات المنهجية المتعلقة بالمنهج الأسطوري منطلقين من المنطلقات الفكرية ثم المفاهيم الإجرائية لهذا المنهج لنعقد مقارنة بين النقد الأسطوري عند الغرب وعند العرب. ونخرج بعدها إلى الأسطورة وجدل التعريف فوقفنا عند المفهوم اللغوي والاصطلاحي لها، ثم وظيفتها، لنصل إلى الأسطورة وعلاقتها بالأدب والشعر.

ـ **الفصل الأول:** وقد عنوانه بشهرزاد/الأصل والتوظيف الأسطوري وهذا الفصل نظري صغير الحجم نوعا ما بالمقارنة مع الفصلين اللاحقين وهذا لأن دراستنا مركزة على الجانب التطبيقي أكثر، وقد تم تقسيمه إلى ثلاث نقاط هي: الليالي الأصل والتسمية ثم لولبية السرد والأسطورة لنصل إلى شهرزاد والشاعر العربي.

ـ **الفصل الثاني:** وعنوانه بتقنيات التوظيف الأسطوري وحاولنا فيه الوقوف عند تقنيات توظيف أسطورة شهرزاد، ومختلف التيمات التي تناولتها، هذا من خلال العناصر الآتية:
أولا: المناص التأليفي: (مناص المؤلف، مناص العنوان، العتبات النصية الداخليّة، عتبة التصدير، قبل البدء).

ثانيا: الخلفية الأسطورية (ووقفنا على التيمات الأسطورية من خلال موتيف الأنثى، موتيف الحكيم والسرد، موتيف التمرد والتحدي، موتيف الخلاص والانتصار).
ثالثا: البناء الفني، وتعرضنا فيه إلى:

ـ التداعي.

ـ المونولوج.

ـ الديالوج.

رابعا: الأبعاد الفنية للأسطورة في الديوان.

ـ **الفصل الثالث:** وعنوانه "بجماليات التوظيف الأسطوري" وقد تضمن أربعة عناصر وهي:
أولا: شعرية اللغة.

ثانيا: الصورة الفنية، وقد احتوت: صورة المرأة، صورة الرجل، صورة الحيوان، وصور أخرى.
ثالثا: الصورة الاستعارية وتضمنت:

ـ استعارة صفة من صفاتها.

ـ استعارة بعض أحداث حياتها.

ـ استعارة بعض أقوالها.

ـ استعارة مدلولها العام.

رابعا: الموسيقى واحتوت: الوزن والقافية والروي وأخير التوازي.

خاتمة: حاولنا فيها الإجابة على التساؤلات المطروحة في المقدمة، والوقوف على مختلف النتائج التي خرج بها البحث.

لم تخل رحلتنا هذه خالية من الصعوبات، غير أن هذه الصعوبات هي متعة البحث الكبرى التي زادت عزيمتنا لمواصلة هذا الموضوع في أبحاثنا اللاحقة إن شاء الله.

ولعل أهم صعوبة واجهتنا هي ندرة المراجع العربية التي تتناول آليات المنهج الأسطوري تناولا مستقلا، وإن وجدت مادة فهي قليلة مبثوثة في وريقات من كتب مختلفة لا تفني بالعرض ولا تروي العطش.

وأیضا إن مثل هذا الموضوع يتطلب ترسانة ثقافية معرفية ضخمة بدءا بالتراث وصولا إلى الحداثة، ولعل هذا ما يجعلني أجزم أني أغفلت عديد الجوانب المتعلقة بهذه الترسانة الثقافية الحداثية التي سطرت لي طرق الوصول إلى المراجع التي لا نذكرها الآن لأننا سنردفها في جزء مستقل لوحده.

وأخيرا يطيب لي أن أزجي الشكر جزيلاً والشاء جميلاً لأستاذي الدكتور "عبد الرحمن تيرماسين" شكراً وثناءً أعبر بهما عن امتناني وعرفاني برعاية قد أحاطني بها منذ كنت طالبة سنة أولى ماجستير. ومنذ أن كان البحث فكرة إلى أن وصل إلى أن وصل إلى ما هو عليه ولا يزال يتفضل عليّ بحسن توجيهه وإرشاده، ولا يمكن أن أختتم هذه المقدمة دون أن أذكر ديني الكبير للأستاذة الأفاضل، بدءا بالمملكة الشهرزادية (الدكتورة هداية مرزاق والأستاذة سامية عليوي)، وصولا إلى المملكة الشهريرية الدكتور "رابح الأطرش"، الأستاذ "كمال بلوصيف"، الأستاذ "اليمين بن تومي"، الأستاذ الصديق "جمال بن عمار"، والشكر كل الشكر لأعضاء لجنة القراءة الذين قبلوا قراءة هذا الموضوع وتقييمه وتقييمه.

وعلى الله قصد السبيل.